

ألف ليلة وليلة

كتاب ألف ليلة وليلة هو أحد أشهر الكتب النثرية في العالم أجمع، ولا تكاد تخلو ثقافة أو دولة أو مثقف لم يلجأ إلى ألف ليلة وليلة، من أجل البحث أو الدراسة أو حتى القراءة من أجل المتعة، تدور حكايات الكتاب حول العديد من الأحداث والقصص الخيالية التي تدور في إطار حكاية الزوجة شهرزاد كل ليلة للملك شهريار من أجل الحفاظ على نفسها من الموت؛ حيث إن شهريار كان قد اكتشف خيانة زوجته، ولذلك قرر قتلها والزواج كل يوم بواحدة، وقتلها في آخر ليلة الزواج.

(في كتاب ألف ليلة وليلة حكايات عجيبة، مختلفة الأنواع والمصادر. يرقى بعضها إلى بلاد الفرس في القرن العاشر، وبعضها الآخر إلى بغداد، وتدور أحداث غيرها في مصر، أما أشهرها فهي حكايات علاء الدين والفانوس السحري، وعلي بابا والأربعون لصاً، ورحلات السندباد البحري، وقد طبع الكتاب لأول مرة في كلكتا سنة 1818، وترجم إلى معظم اللغات العالمية، وأوجزت حكاياته في لغات أخرى)⁽¹⁾.

التعريف بها: ألف ليلة وليلة أو كما تعرف لدى الغرب بالإنجليزية (Arabian Nights)، أي الليالي العربية هي مجموعة متنوعة من القصص الشعبية عددها حوالي مئتي قصة يتخللها شعر في نحو 1420 مقطوعة، ويرجع تاريخها الحديث عندما ترجمها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي أنطوان جالان عام 1704م، والذي صاغ الكتاب بتصرف كبير، وصار معظم الكتاب يترجم عنه طوال القرن الثامن عشر وما تلاه. وقد قُدت الليالي بصورة كبيرة واستعملت في تأليف القصص وخاصة قصص الأطفال، كما كانت مصدراً لإلهام الكثير من الرسّامين والموسيقيين. وتحتوي قصص ألف ليلة وليلة على شخصيات أدبية خيالية مشهورة منها علاء الدين، وعلي بابا والأربعين حرامي ومعروف الإسكافي وعلي زيق المصري والسندباد البحري، وبدور في شهرزاد وشهريار الملك، والشاطر حسن.

¹ جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط 2، بيروت، لبنان، 1984، ص: 470.

ألف ليلة وليلة هي (مجموعة من الحكايات الأسطورية، قوامها أنّ ملك الفرس شهريار قتل زوجته بعد أن خانته، وعزم على اتّخاذ زوجة جديدة له كلّ ليلة، على أن يأمر بقتلها في الصّباح. وحدث أنّ شهرزاد ابنة وزيره تقدّمت مختارة لتكون زوجة له، راغبة في أن تكون أختها دنيازاد مرافقة لها في غرفة العرس. ونزل الملك عند أمنيّتها، ولمّا اختلى بها طلبت دنيازاد من أختها أن تروي لها حكاية جميلة، فأخذت شهرزاد تقصّ عليها حكاية مثيرة الأحداث والفصول بحيث استرعت انتباه الملك، فاستغرق في الاستماع إلى حديثها، ولكنّها، عند الصّباح توقّفت عن الكلام المباح، قبل أن تأتي على آخرها، فعزم الملك على تأجيل قتلها إلى اليوم الثّاني لتتيسّر له معرفة الخاتمة. واستمرّت الحيلة ليالي كثيرة، وشهرزاد تصل الحكاية بالأخرى، وتتوقّف عن متابعة الحديث في المكان المثير، حتّى انقضى على أمرها هذا ألف ليلة وليلة، وكان الملك في خلال ذلك قد أُعجب بذكاء زوجته، وحلو حديثها، وسعة معرفتها، فعدل عن قتلها)⁽²⁾.

الكتاب الذي طاف الدّنيا بأرجائها، وتمثّل فيه سحر الشّرق، وترجم إلى معظم لغات العالم. طبع بالعربيّة لأوّل مرّة في ألمانيا سنة 1825 بعناية المستشرق (هاينخت) فأُنجز منه ثمانية أجزاء، مع ترجمته إلى الألمانيّة، وتوفّي قبل إتمام الكتاب، فأُنجز الباقي تلميذه فليشر المتوفّي سنة 1888م، ثمّ طبع مرّات لا تحصى أهمّها: طبعة مصطفى البايّ الحلبيّ بمصر 1960م.

ولا شكّ في أنّنا غير قادرين على تلخيص أثر هذا الكتاب منذ شاع ذكره في أوربّا، وليس في وسعنا هنا إلّا تقديم نموذج منها بكتاب (غوته وألف ليلة وليلة)⁽³⁾، حيث عاش غوته منذ نعومة أظفاره مع هذا الكتاب، وكان يحفظ حكاياته إلى درجة أنه كان يلعب دور شهرزاد عندما تتاح له الفرصة، وكان في صباه وفي شيخوخته يستخدم رموز الحكايات وصورها في رسائله، وكان بالنسبة له (كتاب عمره). كلّ ذلك والترجمة الألمانيّة لم تكن قد أنجزت بعد، وإنّما كان يرجع إلى الترجمة الفرنسيّة المجتزئة التي قام بها المستشرق الفرنسيّ (أنطوان غالان) خلال الفترة 1704،

² جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص: 470.

³ للألمانية كاترينا مومسن، ترجمة أحمد الحمو، دمشق، 1980.

1717م، وذلك قبل أن تظهر الترجمة الألمانية عام 1825م، مما جعل غوته يمضي آخر سني حياته مع هذه الترجمة، وكانت وفاته سنة 1832م.

القصة الإطار: تعتبر قصة شهریار وشهرزاد هي القصة الرئيسية، أو كما يدعونها بالقصة الإطارية، ومن خلال تلك القصة تدور كل الأحداث في الكتاب، التي في بعض الأحيان احتوت قصصاً صغيرة داخل قصص أخرى، تظهر وتنتهي سريعاً. ويحتوي كذلك على العديد من القصص المشهورة في الثقافة العربية بصفة عامة، مثل: قصص علي بابا والأربعين حرامي، والسندباد البحري، وعلاء الدين والمصباح السحري.

تقول الحكاية الأم التي تبسط ظلالها على حكايا الكتاب: (أنّ الملك شهریار لم يكتف بعدما اكتشف خيانة زوجته بقتلها هي وجواريه وعبده، بل صار كلّ يوم يأخذ بنتاً بكرةً فيزِيل بكارتها ويقتلها من ليلتها، فضجّ النَّاس وهربت بناتهم... فسألت شهرزاد أباهَا الوزير أن يقدمها لشهریار قائلة: (فإِما أن أعيش، وإِما أن أكون فداءً لبنات المسلمين وسبباً لخلاصهنّ)، وكان الوزير يطلع كلّ صباح بالكفن تحت إبطه، بينما ابنته شهرزاد تؤجّل ميعاد موتها بالحكاية تلو الحكاية، حتّى أنجبت للملك ثلاثة أولاد في ألف ليلة قضتها في قصره، وجعلته بجلاوة حديتها وطرافة حكاياها خلقاً آخر).

(ولا مردّ من تذكّر (القصة الإطار) في مجموعة شهرزاد فالقارئ الأوروبي يعرف في الأقلّ أنّ ابنة الوزير طلبت من أبيها أن يسمح لها بالزواج من ذلك السلطان الغاضب المرير والسوداوي المتعطر شهریار. فبعد غدر زوجته الأولى، قرّر شهریار أن يتزوج واحدة كلّ ليلة ليقضي عليها في صباح اليوم التالي، حيث لم يعد يثق بالنساء، ورأى في هذا الأسلوب خلاصه الوحيد من غدرهنّ. ولم تكن شهرزاد على شاكلة غيرها من النساء: فهي تعتمد كثيراً على فطنتها ودرايتها ومعرفتها والسعة. إنّها أكثر إلماماً بوضعه النفسيّ من غيرها من النساء: فجاءته بمجموعة من القصص تشاغله بها كلّ ليلة، فاعلة فيه فعل السحر والدواء، مريحة إياه تارة، ومداوية جروحه وآلامه تارة أخرى. فقصصها لا تخلو من إشارات إلى غدر النساء، لكنّها وهي تكسب ثقته بذلك، كانت تذكر أفاصيص أخرى عن وفائهنّ وذكائهنّ: ولم تزججه بالمواعظ والنوادر المباشرة، بل جاءته بقصص

مشوّقة، أثارت عنده ولعا بهذا الفنّ ولمدّة ألف ليلة وليلة!!! هكذا هي الحكاية، صدقت أم لم تصدق⁽⁴⁾.

إنّ مؤلّف كتاب ألف ليلة وليلة غير معلوم؛ لأنّ الكتاب ليس من عمل شخص واحد؛ بل هو تجميع للحكايات الشعبيّة التي سادت المنطقة العربيّة والفارسيّة والعراقيّة والمصريّة والهنديّة، ومجموع تلك المناطق يمثّل أغلب العالم القديم تقريباً إذا ما استثنينا منه الصّين، وأغلب القصص في الكتاب هي القصص التي وردت شعبياً في مناطق جنوب آسيا وغربها؛ حيث سادت الحضارات الفارسيّة وحضارة بلاد الرافدين.

وتّمّت ترجمة الكتاب إلى اللّغة الإنجليزيّة تحت عنوان اللّيلي العربيّة في بدايات القرن الثامن عشر الميلاديّ. ومن المرخّح أنّ العمل الذي يسمّى ألف ليلة وليلة كما يرى العديد من الباحثين قد تمّ تجميعه ووضع في إطار واحد تحت قصّة شهرزاد وشهريار التي كانت تعرف في الأدب الفارسيّ البهلويّ "هزار أفسان"، والتي تعني بالعربيّة ألف خرافة. وذلك لأنّ تلك القصّة كانت في عصور السّاسانيّين، في حين وردت في الكتاب حكايات ذكر فيها الخليفة العبّاسيّ هارون الرّشيد ووزيره جعفر البرمكيّ، ممّا يدلّ على أنّ الكتاب قد تمّت زيادته وإمداده بالقصص والحكايات على مدار المئات من السّنوات، وعلى يد العديد من الحكّائين والمترجمين.

يغلب على كتاب ألف ليلة وليلة النّمط النثريّ في الكتابة، وذلك يرجع للتأثيرات الفارسيّة والهنديّة، إلّا أنّه يوجد في وسط الكتاب العديد من الأشعار التي تعبّر عن الثّقافة العربيّة التي وضعت فيها تلك الحكايات. وقد تمّت ترجمة الكتاب إلى جميع لغات العالم تقريباً، وما زال يحظى حتّى الآن بالاهتمام من قبل القراء والباحثين.

(أسلوب الكتاب متفاوت المستوى، لأنّ صياغته تختلف حسب الكاتب، ولأنّ تأليفه لم يتمّ في زمن واحد، وبقلم واحد، بل في أزمنة متلاحقة، وبأقلام متنوّعة الثّقافة. وقد كُتب أصلاً

⁴ محسن جاسم الموسويّ: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي الوقوع في دائرة السّحر، منشورات مركز الإنماء القوميّ، بيروت، ص: 07.

ليكون غذاء للجماعات الشعبيّة ومحرّكا لخيالها، ومسلياً لها في مجالسها، وساعد خلال مئات السنين على أن تعيش هذه الجماعات ساعات من الأحلام العذبة⁽⁵⁾.

ونشير هنا إلى الطّفرة التي اكتسبتها الدّراسات الدّائرة حول (ألف ليلة وليلة) نتيجة لتوثيق محسن مهدي للنّسخ العربيّة في عمل صدر له في ليدن 1984م. وانظر مجموعة الرّسومات التي صاحبت التّرجمات العربيّة لألف ليلة وليلة في كتاب (ألف ليلة وليلة: مقالات نقدية وبلوغرافية)⁽⁶⁾، و(ديوان ألف ليلة وليلة)⁽⁷⁾.

صاحب الكتاب:

أما مؤلف الكتاب فلا يعرف حتّى الآن من هو واضع كتاب "ألف ليلة وليلة. وقد ذهب الشّرواني في مقدّمة الطّبعة الإيرانيّة إلى أنّ واضع الكتاب شاميّ الأصل، جعله في لغة مبسّطة متوخّياً تعليم اللّغة العربيّة إلى الرّاغبين فيها أكثر ما توخّى الاقتراب من إفهام النّاس... وقد لحقه الرّأي (De Sacy) الذي لا يستبعد أن يكون قد زاد على الأصل السّوريّ النّقله والحكاؤون، في كلّ زمان ومكان أخباراً وحكايات من عندهم...

ويميل (Scott) في مقدّمته للطّبعة الإنجليزيّة إلى أنّ واضع الكتاب أكثر من رجل واحد، فلا يعرف البادئ ولا المتأخرون ولا تعرف جنسيّاتهم... أما (Langlés) فعلى رأي المسعوديّ الذي يردّ الكتاب إلى الهند⁽⁸⁾، في قوله: "وإنّ سبيل الأخبار سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسيّة والهنديّة والرّوميّة، سبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب "هزار افسانه" وتفسير ذلك من الفارسيّة إلى العربيّة ألف خرافة، والخرافة بالفارسيّة يقال لها افسانه، والنّاس يسمّون هذا الكتاب "ألف ليلة وليلة" وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرازاد ودنيازاد. وكان ابن النّديم صاحب الفهرست أوّل من عرّف بالكتاب قال: (كتاب هزار أفسان) ومعناه ألف خرافة وكان السّبب في ذلك (قصة شهریار).

⁵ جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص: 470، 471.

⁶ كامبريدج، دار مهجر، 1985م، بالإنجليزية.

⁷ تحقيق عبد الصاحب العقابى، كتاب التراث الشعبي، عدد 1، بغداد، 1980م.

⁸ المسعودي: مروج الذهب، طبعة Barbier De Meynard، باريس، 1914، الجزء الرابع، ص: 89، 90.

وقد قيل إن هذا الكتاب ألف لحناني ابنة بهمن.. وجاءوا فيه بخبر غير هذا قال محمد بن إسحاق: (ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر لأن السمر ربما حدث به في عدة ليالٍ وقد رأيتُه بتمامه دفعاتٍ وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث)، قال: (ابتداءً أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسفار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الأسماء والخرافات ما يحلو بنفسه وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تميمه ألف سمر ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخي الشافعي⁽⁹⁾).

ويستنتج (Macdonald) على أن الأصل الأول لهذا الكتاب فارسيّ بدليل أن أولى لياليه منقولة إلى العربية عن "هزار افسانه".... ويزيد (Hommer) أن "ألف ليلة وليلة" إن لم تكن فارسيّة فهي هندية.... ثم يتفق (Schlegel) و (Gildmeister) و (Deslongchamps) و (Loisleur) على إعطاء الكتاب إلى الهند، مع الأفراد للفرس وللعرب ببعض الفضل فيه... وفي الليلة الرابعة والتسعين، أبيات مشهورة للشيخ محي الدين ابن عربيّ، وأولها:

(ليت شعري لو دروا أي قلب ملكوا)

لقد سحر هذا الكتاب النفيس عقول القراء وتحيرت فيه الأبواب وهو في نظرنا كتاب قيم فريد. فؤلفه الحقيقي علامة ومصالح اجتماعي كبير، وهو حافظ للأشعار وكان يختار منها أجودها وما كان معناه موافقاً مع موضوع القصة أو الحكاية أو نادرة من النوادر التي يغلب عليها في الظاهر سمة الهزل والإضحاك قاصداً بذلك التهذيب والإصلاح.

⁹ ابن النديم: الفهرست، طبعة القاهرة، 1348 هـ، ص: 422، 423.

الغاية من ألف ليلة وليلة على لسان الراوي: (وليعلم من وقف على هذا الكتاب أنّ الغرض بتحصيله التفكير والاعتبار في تقلّب الأحوال وانخراط الآمال وسرعة زوال الدنيا ولذاتها وأنه لا يصفو فيها عيش)⁽¹⁰⁾.

(حكايات ألف ليلة وليلة تدخل باعتبارها جنسا أدبيا في النوع الحكائي الذي تكون مادته سير الأولين المحكيّة عبر الأجيال للاتعاض والاعتبار، وهي المادّة التي شكّلت كلّ القصص القرآنيّ الحاكي عن أقوام بائدة وحضارات سالفة)⁽¹¹⁾.

تأثير الكتاب على الثقافة العالمية:

(انطلقت من ألف ليلة وليلة آثار فنيّة خالدة في شتّى الميادين. فأكبّ على حكاياتها رسّامون أبرزوا كثيرا من مشاهدتها في لوحاتهم، واقتبس منها موسيقيّون موضوعات عابقة بالأجواء الشّرقية، واستمدّ منها مسرحيون حيكات لتمثيلياتهم، واستوحى منها شعراء صورهم وتشابيههم ورموزهم، وبسّطت جماعة من الأدباء نخبة من حكاياتها، وأعدت ككاتبها بأسلوب عصريّ لتكون تسليّة وثقيفا للأحداث من أبناء العالم كلّه)⁽¹²⁾.

زمن تأليف اللّيلي: (وإذا نظرنا بين تقديرنا بشأن تأليف اللّيلي ونشرها مع بداية خلافة القادر، وهي سنة 991م، مع ما ذكره أدقّ معاصر زمن إذاعة اللّيلي، وأعني به ابن النديم في كتابه (الفهرست الذي فرغ من كتابته سنة 377هـ / 995م)، أي بعد أربعة أعوام على ظهور كتاب اللّيلي.. فنكون قد حدّدنا بالضبط (زمن) التّأليف النهائيّ وزمن النّشر معا)⁽¹³⁾.

¹⁰ نبيل حمدي عبد المقصود الشاهد: العجائيّ في السرد العربيّ القديم مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجاً، ص: 40.

¹¹ نبيل حمدي عبد المقصود الشاهد: العجائيّ في السرد العربيّ القديم مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجاً، ص: 40.

¹² جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص: 471.

¹³ جمال البدريّ: اليهود وألف ليلة وليلة، دراسة تحليليّة نقدية مقارنة من الأعماق إلى الآفاق، الدار الدوّية للاستثمارات الثقافيّة، ط 2، القاهرة، 2000، ص: 63.

العجائبي والتاريخ: (يبدو أنّ شهرزاد العظيمة تنهج نهجا [...]) يحتفظ لنفسه بقدر من الإبهامية والاحتمالية، فهي تروي الخوارقي والعجبيّ بعبارة تحتمل كلاً التاريخي والمتخيّل، هي ببساطة: "بلغني أيها الملك السعيد أن...".⁽¹⁴⁾

وصف الجنة: في كتاب عبد الله بن سلام: كتاب العظمة: (في كلّ جنة خلق الله تعالى ثمانمائة ألف مدينة، في كلّ مدينة ألف ألف قصر من الذهب الأحمر والدرّ والجوهر والياقوت الأحمر والزمرد الأخضر. في كلّ مدينة أربعة آلاف ألف ألف ألف باب من الفضة البيضاء مساميرها من الذهب الأحمر. في كلّ قصر من قصور تلك المدائن ألف غرفة بعضها فوق بعض، في كلّ غرفة ألف شبّك شبّك بقضبان من نور، على كلّ شبّك من تلك الشبايك سرير من الذهب الأحمر، على كلّ سرير ألف ألف فراش من الحرير والسندس الأخضر مكلّل بالدرّ والجوهر، والفرش مفروشة بعضها فوق بعض، جالس على [كلّ من] تلك الفرش حورية من الحور العين عليها سبعون حلّة، والحلل ما بين الأحمر والأخضر والأقوان والأرجوان، منسوجة بالدرّ والجوهر والمرجان. وجوه تلك الحور أضوأ من الشمس والقمر، لها عيون لو كشفت عيونها وغمزت لبني آدم عليه السلام في دار الدنيا لمات كلّهم شوقاً إليها. وعلى جبينها إكليل كأنها شمس مضيئة، في كلّ زند من زندها ألف سوار من الذهب الأحمر، مكلّل بالدرّ والجوهر. بين مخّ // ساقها من وراء حللها من رقّة جلدها، وفي كلّ رجل من رجلها ألف خلخال من الذهب الأحمر. لو سمع لذيذ صوتها أهل هذه الدنيا لماتوا شوقاً إليها. في عنقها ألف قلادة من الدرّ والمرجان واللؤلؤ والعقيان، يضيء كلّ عقد من عقودها مثل الكوكب الدرّي. وبين يديّ كلّ حورية ألف وليدة وألف وصيفة)⁽¹⁵⁾.

الوصف في كتاب عبد الله بن سلام: كتاب العظمة: (لكلّ مدينة من تلك المدائن ثلاثة آلاف ألف ألف ألف مرج، في كلّ مرج مائة روضة، في كلّ روضة مائة حديقة، في كلّ حديقة مائة // شجرة، على كلّ شجرة مائة ألف نوع من الثمر، على كلّ ثمرة مائة ألف لون من ألوان الورق.

¹⁴ كمال أبوديّب: الأدب العجائبيّ والعالم الغرائبيّ في كتاب العظمة وفنّ السرد العربيّ، دار السّاقى بالاشتراك مع دار أوركس للنشر، ط 1، بيروت، لبنان، أكسفورد، بريطانيا، 2007، ص: 22.

¹⁵ كمال أبوديّب: الأدب العجائبيّ والعالم الغرائبيّ في كتاب العظمة وفنّ السرد العربيّ، ص: 26، 27.

وقد خلق الله سبحانه على كل ورقة سريرا يرحلون إلى أهلهم عليها. فإذا وصلوا إليها تطأطأت الأشجار حتى تبقي رؤوسها على وجه الأرض، فيصعدون الأسرة ويجلسون فيها. فكما جلس فيها واحد ارتفعت الورقة عن وجه الأرض، فلم تنزل وترفع ورقة بعد أخرى حتى يتكامل القوم الذين يريدون الصعود والمبيت. فإذا تكاملوا ارتفعت الشجرة بذلك القوم حتى تبلغ تمام طولها. فقال عثمان رضي الله عنه: ما مقدار علو تلك الأشجار ومنتهاها؟ قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: طول كل شجرة مسيرة تسعين ألف سنة، فإذا أراد إنسان أن ينزل تكاملت لهم بطون أرضهم. هم يصومون يوما ويفطرون يوما، يتلذذون بصيامهم أكثر مما يتلذذون بإفطارهم. لهم في أصول تلك الأشجار مجالس يتعدى كل مجلس مسيرة أربعة آلاف ألف سنة، المجلس الواحد مثل ديانا هذه برّها وبحرها وسهلها وجبلها بالطول والعرض. فسبحان الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الجبار المتكبر⁽¹⁶⁾.

مفهوم القصة الإطارية: (مفهوم الإطارية يؤدي إلى عزل الحكايات واحدها عن الأخريات - كما فعل تودوروف في دراسته لألف ليلة -] أما في السردية العربية فإن الدوائر السردية متعاقبة، ومتشابكة، متداخلة ومتفاعلة⁽¹⁷⁾.

كتاب شوكا سابتاتي: (يتألف كتاب شوكا سابتاتي من مجموعة متنوعة من القصص والأساطير الشعبية الهندية، كتبت - أصلا - باللغة السنسكريتية، ومع احتوائه على أبيات كثيرة من الشعر، تكون في بعض الأحيان جزءاً من الحكاية، أو من حوار الشخصيات، لكن رواياته - في الأساس - تتكون من سرد ثري، يتخلله حكم وأقوال مأثورة. ويبدو بأن ذلك كله جمع من حكايات وأخبار قديمة، كانت تُروى منذ أزمنة، لا نستطيع تحديد مداها، وهي إما وضعت فيه كاملة، كما هي، أو تم تحويرها، بما يوافق مجريات الكتاب، أو استلهم معانيها، كما في بعض حكايات كليلة ودمنة⁽¹⁸⁾).

¹⁶ كمال أبوديب: الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، ص: 23، 24.

¹⁷ كمال أبوديب: الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، ص: 33.

¹⁸ شوكا سابتاتي حكايات البيغاء السبعون المسمى ألف ليلة وليلة الهندية، مراجعة وتقديم منذر الحايك، دار صفحات، ط 1، دمشق، سورية، 2015، ص: 11.

أهمية كتاب شوكا سابتاتي: (ظلّ - كتاب شوكا سابتاتي - واحدا من أكثر الأعمال القصصية شهرة وشعبية في الهند، ويعتقد كثيرون بأنّ قراءة الكتاب كانت تجربة رائعة، فإضافة إلى لغته الجزلة السّاحرة، فإنّه يمتاز بإيجاز العرض، وبفجائية تطوّر الحدث، ودهشة النهايات، ضمن عرض ساحر من النزعات والأهواء البشرية. لذلك جاء الكتاب ملبياً لحاجة المسامرة في الليالي، والمنادمة في الأسفار، لما يتضمّنه من أحداث مشوّقة، يمتزج فيها الواقع بالأسطورة، والحقيقة والخيال، ضمن أجواء الهند الحقيقية؛ حيث تضيع الفواصل، وتمتزج الحدود بين الممكن والمستحيل، ممّا يجعل المتلقّي يعيش زمن المعجزات، في أمكنة محدّدة موصوفة، لكنّ؛ في زمان غير معروف)⁽¹⁹⁾.

كتاب شوكا سابتاتي: (تتضمّن معظم الحكايات - في كتاب شوكا سابتاتي - خرافات وأساطير، تتخذ أبطالا من الجنّ والعفاريت، ثمّ لا تعجز عن أن تُنطقَ ألسنة الحيوانات؛ لتروي القصص، وتتمثّل الأمثال والحكم. وفوق هذا كلّّه، نرى الكتاب يحتوي قصصا من التاريخ، والكثير من ذكر العادات والتقاليد، وأخباره تتناول تارة؛ لتروي حياة الملوك، ثمّ تهاوى تارة أخرى؛ لتحكي عن عامّة النّاس، مثل: الصّناع والعمّال، بل حتّى من هم في قاع المجتمع، مثل اللّصوص والدرّاويش)⁽²⁰⁾.

الحكاية الإطار في كتاب شوكا سابتاتي: (كلّ هذه الحكايات - في كتاب شوكا سابتاتي - تفرّعت من حكاية واحدة، هي عماد السّرد الرّئيسي، ولذلك أسميناها [..] حكاية الحكايات)⁽²¹⁾.

القصة الرّئيسية لكتاب شوكا سابتاتي: (تتمحور القصة الرّئيسية في الكتاب حول شاب اسمه "ساعد" في الترجمة العربيّة، وهو "مادانا" في السنسكريتية، وزوجته "قمر السّكر"، أو "باد مافيتا". وكان "ساعد" يعيش // حياة اللّهُو والمجون، ممّا أحنز أباه التّاجر الكبير، وصدفة؛ وجد "ساعد" في السّوق ببغاء فصيحاً عاقلاً، يتكلّم لغة البشر، فاشتراه، وبدأ الببغاء ينصح "ساعد"؛ ممّا جعله يكسب في تجارته، ثمّ طلب منه أن يقوم برحلة طويلة، من أجل مشروع تجاريّ راجح، فترك "ساعد" زوجته في رعاية الببغاء العاقل، وسافر. مع أنّ "قمر السّكر" كانت - في البداية - خزينة،

¹⁹ شوكا سابتاتي حكايات الببغاء السّبعون المسمّى ألف ليلة وليلة الهنديّة، ص: 12.

²⁰ شوكا سابتاتي حكايات الببغاء السّبعون المسمّى ألف ليلة وليلة الهنديّة، ص: 12.

²¹ شوكا سابتاتي حكايات الببغاء السّبعون المسمّى ألف ليلة وليلة الهنديّة، ص: 15.

بسبب رحيل زوجها، لكنها سرعان ما وقعت في حبال عجز محتالة، أوهمتها بحبة أمير شاب لها، فوفقت على موافاته ليلاً، وكانت في كل ليلة تتحضر لمقابلة الأمير، ولكن البيغاء يحبط محاولتها، بواسطة حيلة بسيطة، وهي أن يروي لها قصة، يشغلها بها جلّ الليل. ولدهاء البيغاء، كان يعلن لها موافقته على سلوكها وعشقها للأمير، ودائماً يردد أمامها: أن أجما ما في الحياة هو الشعور باللذة، وأن الرغبة الجسدية للإنسان قوة قاهرة. لكنه - بالمقابل - كان دائم البلبلة لأفكارها، بالتساؤل عن إذا ما كان لديها الذكاء الكافي للتخلص من المشاكل التي ستقع فيها نتيجة هذه العلاقة⁽²²⁾.

الراوي في كتاب شوكا ساباتاي: (يروى حكايات شوكا ساباتاي ببغاء ذكي مخلص لصاحبه الذي سافر، وترك زوجة شابة، تريد أن تملأ فراغ عاطفتها، بحب رجل آخر، فيحاول هذا البيغاء الحكيم أن يحول بين الزوجة وبين تحقيق مأربها، بأن يشغلها بسرد أحاديث وحكايات مشوقة، لا تنتهي إلا وقد أطلّ الصباح، فتعود الزوجة لمخدعها، وتوجّل ذهابها لعشيقها إلى الليلة التالية، وهكذا دواليك حتى عودة الزوج)⁽²³⁾.

أهمية الحكاية الخرافية: ("الحكاية الخرافية ليست بثرثرة عجائز لا منطق لها، ولا هي اختراع صرف، وإنما هي ملك للشعب وتناج قواه الشعرية". بهذه العبارة يوجه فريدريك فون ديرلاين أنظارنا جميعاً إلى أهمية الحكاية الخرافية، فهي لیت بثرثرة فارغة من المعنى والدلالة، تحكيها العجائز للأطفال في ليالي الشتاء البارد. إنها خلاصة حكمة وبقايا معتقدات ظلّت تسيطر على عقل الإنسان لعدة قرون، إنها الحسّ الشعريّ للايقاع الجماليّ في الإنسان. ولذلك فالحكاية لم تكن أبداً وليدة إبداع فرديّ، ولا هي قاصرة في وجودها على حضارة بعينها، إنها نتاج عقل جمعيّ، كما أنّها من أقدم الفنون - إن لم تكن أقدمها - التي عرفها الإنسان؛ فالحكي الخالص في حدّ ذاته فطرة بذرها الله في كينونة الإنسان الناطق، ولذلك لا يخلو تاريخ شعب من الشعوب من وجود حكايات تتشابه موضوعاتها مثلما تتشابه في هيكل بنائها)⁽²⁴⁾.

²² شوكا ساباتاي حكايات البيغاء السبعون المسمّى ألف ليلة وليلة الهندية، ص: 15، 16.

²³ شوكا ساباتاي حكايات البيغاء السبعون المسمّى ألف ليلة وليلة الهندية، ص: 15.

²⁴ نبيل حمدي عبد المقصود الشاهد: العجائبيّ في السرد العربيّ القديم مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجاً، الوراق للنشر والتوزيع، ط 1، عمّان، الأردن، 2012، ص: 09.

المراجع:

- (1) ابن النديم: الفهرست، طبعة القاهرة، 1348 هـ.
- (2) ألف ليلة وليلة: مقالات نقدية وبلوغرافية، كامبريدج، دار مهجر، 1985م، بالإنجليزية.
- (3) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط 2، بيروت، لبنان، 1984.
- (4) جمال البدري: اليهود وألف ليلة وليلة، دراسة تحليلية نقدية مقارنة من الأعماق إلى الآفاق، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط 2، القاهرة، 2000.
- (5) ديوان ألف ليلة وليلة، تحقيق عبد الصاحب العقابي، كتاب التراث الشعبي، عدد 1، بغداد، 1980م.
- (6) شوكا ساباتي حكايات البيغاء السبعون المسمى ألف ليلة وليلة الهندية، مراجعة وتقديم منذر الحايك، دار صفحات، ط 1، دمشق، سورية، 2015.
- (7) كاترينا مومسن: غوته وألف ليلة وليلة، ترجمة أحمد الجمو، دمشق، 1980.
- (8) كمال أبوديب: الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، دار الساقى بالاشتراك مع دار أوركس للنشر، ط 1، بيروت، لبنان، أكسفورد، بريطانيا، 2007.
- (9) محسن جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي الوقوع في دائرة السحر، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت.
- (10) المسعودي: مروج الذهب، طبعة Barbier De Meynard، باريس، 1914، الجزء الرابع.
- (11) نبيل حمدي عبد المقصود الشاهد: العجائبي في السرد العربي القديم مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغربية نموذجاً، الوراق للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن، 2012.

(حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع) من (ألف ليلة وليلة)

... وكان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء، وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم الماضيين قيل إنها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لأبيها ما لي أراك متغيرا حامل الهم والأحزان وقد قال بعضهم في المعنى شعرا:

قل لمن يحمل همًا إن همًا لا يدوم

مثلها يفنى السرور هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكي لها ما جرى له من الأول إلى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا أبت زوجني هذا الملك فإمّا أن أعيش وإما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهنّ من بين يديه فقال لها بالله عليكي لا تخاطري بنفسك أبدا فقالت له لا بد من ذلك فقال لها أخشى عليك أن يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذي جرى لهما يا أبت؟

(حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع)

(قال) اعلمي يا بنتي أنه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة ألسن الحيوانات والطيور وكان مسكن ذلك التاجر الأرياف زكان عنده في داره حمار وثور فأتى يوما الثور إلى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفي معلقه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الأوقات يركبه صاحبه لحاجته تعرض له ويرجع على حاله فلما كان في بعض الأيام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئا لك ذلك أنا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفي بعض الأوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائما للحرث والطحن فقال له الحمار إذا خرجت إلى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فإن قتت فارقد ثانيا فإذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الأكل والشرب يوما أو يومين أو ثلاثة فإنك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق إلى الثور بعلفه أكل منه شيئا يسيرا فأصبح السواق يأخذ الثور إلى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرّته مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يردّ عليه الحمار جوابا وندم أشدّ الندامة فلما كان ثاني يوم جاء المزارع وأخذ الحمار وحرّته إلى آخر النهار فلم يرجع الحمار إلاّ مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجّده فقال له الحمار كنت مقيما مستريحا فما ضرني إلاّ فضولي

ثم قال اعلم أني لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول إن لم يقيم الثور من موضعه فأعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعاً وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال في غد أسرح معهم ثم إن الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المذود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار وخرج التاجر وزوجته إلى دار البقر وجلسا لجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أي شيء تضحك فقال لها شيء رأيته وسمعته ولا أقدر أن أبيع به فأموت فقالت له لا بد أن تخبرني بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما أقدر أن أبوح به خوفاً من الموت فقالت له أنت لم تضحك علي ثم إنها لم تزل تلح عليه وتلج في الكلام إلى أن غلبت عليه فتحير وأحضر أولاده وأرسل أحضر القاضي والشهود وأراد أن يوصي ثم ييوح لها بالسر ويموت لأنه كان يحبها محبة عظيمة لأنها بنت عمه وأم أولاده وكان قد عمّر من العمر مائة وعشرين سنة ثم إنه أرسل أحضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وأنه متى قال لأحد على سرّه مات فقال لها جميع الناس ممن حضر بالله عليك اتركي هذا الأمر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ويموت فسكتوا عنها ثم إن التاجر قام من عندهم وتوجه إلى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبّه ويقول له أنت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الأمر؟ فأعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله إن صاحبنا قليل العقل أنا لي خمسون زوجة أرضي هذه وأغضب هذه وما له إلا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح أمره معها فما له لا يأخذ لها بعضاً من عيدان التوت ثم يدخل إلى حجرتها ويضربها حتى تموت أو تتوب ولا تعود تسأله عن شيء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع إلى عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثلها فعل التاجر بزوجته فقالت له ما فعل قال دخل عليها الحجر بعدما قطع عيدان التوت وخبأها داخل الحجر وقال لها تعالي داخل الحجر حتى أقول لك ولا ينظرني أحد ثم أموت فدخلت معه ثم إنه قفل باب الحجر عليهما ونزل عليها بالضرب إلى أن أغمي عليها فقالت له تبت ثم إنها قبّلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هي وإياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا في أسرّ الأحوال إلى الممات.